

(المحاضرة الثامنة)

خامسا : أشهر المدارس الكلامية الشيعية.

قلنا : إن الشيعة بدؤوا ذلك الفريق من المسلمين الذين عُرفوا بانقطاعهم الى علي بن أبي طالب ، والقول بإمامته ، وأفضليته على كل من سواه ، وأنه أحق الناس بخلافة رسول الله في ولاية أمر المسلمين ، وقالوا : إن علياً مع الحق يدور معه حيث دار ، وأوجبوا نصرته على كل من خالفه وعاداه ، عملاً بأمر رسول الله الذي نص على علي بن أبي طالب بأنه مولى المؤمنين وولي كل مؤمن ، وأنه إمام أهل البيت والنقل الأصغر الذين تركهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المسلمين ، وأمر بالتمسك بهم مع القرآن الكريم ، ثم دانوا بإمامة ولديه الحسن والحسين من بعده .

وإذا اتفق جميع الشيعة على تلك القاعدة الأساسية ، فإنهم بدؤوا يختلفون ، لا سيما بعد استشهاد الإمام الحسين ، حول الأئمة التاليين ، وحول صفات الإمام التي يجب أن تتوفر فيه ليصير إماماً ، وحول طبيعة الإمامة وخصائص الإمام ، والموقف ممن سلف من الصحابة ، والأهم من ذلك كله ، ولعله السبب الحقيقي والاساسي وراء الانقسامات الشيعية ، هو اختلافهم في أسلوب المعارضة السياسية للنظام القائم ؛ أي طريقة مواجهة حكام الوقت الظلمة ، والسبيل لإحياء حكومة العدل والكتاب والسنة بإمامة الإمام من آل محمد عليهم السلام .. وتولدت من تلك الاختلافات فرق كلامية شيعية عديدة ، ولن أتعرض - هنا - لذكر كل تلك الفرق التي تذكرها كتب الفرق القديمة ؛ لأن أكثر تلك الاسماء والعناوين الكثيرة التي يذكرونها ، كالسبئية والكيسانية والكاملية والمغربية والمنصورية والبنانية والخطابية والحربية والطحية والمباركية والسميطية .. الخ هي مجرد اسماء لمجموعات صغيرة تبعت شيخاً نادى ببعض الأفكار الجديدة ، أو قام بحركة سياسية ما أو مجموعات وقفت عند إمام دون آخر ، وليست بمذاهب قائمة بذاتها ، أو فرق بالمعنى الدقيق للكلمة ، ولئن شكل بعضها ما يصلح أن يسمى مذهباً ، فقد أندثر ، ولم يعد له أتباع ، أو على الأقل ؛ ذاب وانصهر في أحد الفرق الشيعية الرئيسية الباقية الى يومنا هذا ، ألا وهي :

١. **الشيعة الإمامية الاثني عشرية** : التي ساقته الإمامة في ذرية الحسين فقط ، ممن اعتزل الثورات ، وآثر التقية ، بدءاً بعلي بن الحسين زين العابدين وانتهاء بالإمام الغائب محمد بن الحسن العسكري المعترف عندهم المهدي الغائب المنتظر . وقد تبنت مبدأ الإمامة الروحية ، واتخذت من " التَّقِيَّة " مبدأً أساسياً ، وأعدت أسلوب المعارضة باستخدام سلاح " الكلمة " .

٢. **الشيعة الزيدية** : التي ساقته الإمامة الى كل فاطمي عالم عدل شجاع خرج بالسيف ، فأثرت زيداً على أخيه الأكبر محمد الباقر ابني علي بن الحسين زين العابدين ؛ لأن زيداً خرج بالسيف خلافاً لأخيه ، ثم ساقته الإمامة بعد زيد إلى ابنه يحيى ، ثم إلى سلسلة من الأئمة الخارجين بالسيف ؛ إذ الخروج أهم مبدأ لدى الزيدية - سواء كان الخارج حسنياً أم حُسينياً . فالزيدية تبنت مبدأ الإمامة السياسية ، وجعلت " الخروج " مبدأً أساسياً ؛ أي اعتمدت أسلوب المعارضة

باستخدام سلاح " السيف "

٣. **الشيعة الإسماعيلية** : التي بدأت إمامية، ثم افتزقت عنها عندما ساقَت الإمامة بعد الإمام جعفر الصادق - الإمام السادس في سلسلة الأئمة لدى الإمامية الاثني عشرية - إلى ابنه الأكبر إسماعيل ، مع ما أُشيع من أنه مات في حياة أبيه ، ثم إلى ابنه محمد ابن اسماعيل الذي اعتبرته إماماً مستوراً ، ثم في سلسلة أبنائه ، واتخذت مبدأ الإمامة الباطنية القائمة على الرمز ، وأن لكل ظاهر باطن ، هادفة - بذلك - إلى إخفاء مقاصدها واعتمدت أسلوب المعارضة باستخدام سلاح " الحركات السرية"

وسأقتصر في الكلام على هذه الفرق المشهورة الباقية إلى يومنا ، شارحا كيفية نشأتها ، وتطورها وأماكن انتشارها ، وأهم ما تميزت به من عقائد .

هذا ؛ وقد نشأت لكل من تلك الفرق الشيعية الثلاث - أيضا - فروع وتيارات في داخلها ، أو فرق انشعبت عنها ، فانشعبت فرق الغلاة (كالنصيرية) عن الاثني عشرية ، وانقسمت الاسماعيلية بعد زوال الدولة الفاطمية ، الى قسمين رئيسيين هما الإسماعيلية المُستعلية (واشتهروا بالبهرة) والإسماعيلية النزارية ، وهؤلاء - أيضا - صاروا - فيما بعد - نزارية آغاخانية ونزارية مُؤمِنِيَّة ، بالإضافة لطائفة الموحدين (الدُّرُوز) التي تفرَّعتْ عن الإسماعيلية في أواخر عهد الدولة الفاطمية زمن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، مما سنشرحه في موضعه قريبا .